جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

بناء الشخصيات في الروايتين:
طبيب أرياف، ويوميات نائب في الأرياف
- دراسة تحليلية مقارنة –

إعداد

د/ سهيلة ZHANG CHUWEI

دكتوراه الأدب والنقد العربي

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

(العدد السادس والثلاثون)

(الإصدار الثالث .. أغسطس)

(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بناء الشخصيات في الروايتين: طبيب أرياف، ويوميات نائب في الأرياف دراسة تحليلية مقارنة.

سهيلة ZHANG CHUWEI

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني:sohailazhangchuwei@gmail.com

الملخص:

رواية "طبيب أرياف" صدرت عن تجربة المؤلف الحية والمباشرة، خلال فترة عمله في الريف المصري كطبيب، وكان تمثيل الواقع المصري هو السمة الرئيسة في هذه الرواية.

وتصف الرواية الأوضاع الاجتماعية المتردية، في حياة الريف المصري في تلك الفترة، بين نهاية عصر الرئيس محمد أنور السادات وبداية عصر الرئيس مبارك.

وتعرض هذه الرواية سوء الأحوال الصحية في المناطق الريفية، وصبر الفلاحين وعجزهم، وحياة النساء المقيدة تحت سلطة الذكورة، ونير التقاليد، وعجز الطبيب المتعاطف، وتفرده وعزلته وشكوكه في المستقبل، وقصة الغجر المحملة بروح الحرية والمقاومة.

وقد أتى تصوير القرية بطريقة البناء المكاني بوجه عام، وإظهار الأبعاد الاجتماعية عبر بناء الشخصيات والأحداث حولها.

ويتشابه رسم الشخصيات في الرواية مع رواية توفيق الحكيم الشهيرة "يوميات نائب في الأرياف".

وهذا البحث يسعى إلى الكشف عن بناء الشخصيات في هاتين الروايتين، وإلى كشف عناصر الالتقاء والاختلاف في تشكيل الشخصيات في الروايتين، والمنهج المتبع هو المنهج التحليلي مستعينًا بالمنهج الاجتماعي، والمنهج الوصفي.

وفي هذا الإطار يتناول البحث حياة جماعة الفلاحين المتمثلة في الروايتين عبر فترة زمنية بين عام ١٩٣٧ و ٢٠٢٠، والمشاكل التي يعانون منها متشابهة كانت أو مختلفة، وعزلة البطل الذي ينوب عن عامة شباب ذلك العصر، ذوي الأفكار والحماسة والطموح، في مجتمع يعوقهم عن التعبير، فيشاهدون العالم ويشعرون بالعجز، ويبحثون عن مستقبلهم غير الواضح في الضباب.

ومن نقاطة الالتقاء بين الروايتين في بناء الشخصيات: أن في كل رواية منهما أكثر من عشر شخصيات، وتتكون من أربعة عناصر: الراوي، رجال الحكومة أو أصحاب النفوذ، العنصر النسائي، والفلاحون، وهذا على وجه العموم.

أما على وجه الخصوص، أي في بناء شخصيات محددة، فجاءت بعض نقاط الاختلاف.

الكلمات المفتاحية: بناء الشخصيات، الرواية، طبيب أرياف، يوميات نائب، الريف المصري.

Building characters in the two novels: A rural doctor, and the diaries of a rural deputy, a comparative analytical study.

SOHAYLA ZHANG CHUWEI
Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Alexandria University, Egypt.
Email: sohailazhangchuwei@gmail.com

Abstract :

The novel "A Countryside Doctor" was published from the author's live and direct experience during his work in the Egyptian countryside as a doctor, and the representation of the Egyptian reality was the main feature in this novel.

The novel describes the metric social conditions in the life of the Egyptian countryside in that period, between the end of the era of President Muhammad Anwar Sadat and the beginning of the era of President Mubarak.

This novel presents poor health in rural areas, the patience and impotence of peasants, the life of women bound under the authority of masculinity, the yoke of tradition, the impotence of a sympathetic doctor, his exclusivity, isolation and doubts about the future, and the story of gypsies loaded with the spirit of freedom and resistance.

The depiction of the village came in a way of spatial construction in general, and showing the social dimensions by building characters and events around it.

The drawing of the characters in the novel is similar to Tawfiq al-Hakim's famous novel "Diaries of a Deputy in the Countryside".

This research seeks to reveal the structure of the characters in these two novels, and to reveal the elements of convergence

and difference in the formation of the characters in the two novels.

In this context, the research deals with the life of the peasant group represented in the two novels over a period of time between 1937 and 2020, the problems they suffer from, whether they are similar or different, and the isolation of the hero who acts on behalf of the general youth of that era, with ideas, enthusiasm and ambition, in a society that hinders them from expression, so they watch The world feels helpless, and they search for their unclear future in the fog.

One of the points of convergence between the two novels in building characters is that there are more than ten characters in each novel, and it consists of four elements: the narrator, the men of government or influential people, the female element, and the peasants, and this is in general.

As for in particular, that is, in building specific characters, there were some points of difference.

Keywords: Character Building, The Novel, A Rural Doctor, A Deputy's Diary, The Egyptian Countryside.

المقدمة:

- إن "يوميات نائب في الأرياف" هي الرواية الثانية من روايات توفيق الحكيم الاجتماعية الواقعية وقد صدرت في عام ١٩٣٧. وكتبها على شكل يوميات، أو مذكرات لنائب أو وكيل نيابة. وهذه اليوميات مترابطة متصلة الأوصال. إذ ربط الكاتب بينها بقصة داخلية، كان يتابعها التحقيق، هي حادثة قتل غامضة. وينتقل الحكيم في هذه القصة إلى واقعية الحياة، وحياة الجريمة في الريف المصري، والدوافع إليها.
- ونشهد في هذه الرواية ما يوحي بوحدة الهوية بين السارد المستعمل لضمير المتكلم وشخصية وكيل النيابة، وشخصية توفيق الحكيم، الذي تولى هذه الوظيفة فترة زمنية في مدينة طنطا ومدينة دسوق.
- وتعرض الرواية جانبًا من حياة المؤلف في النيابة، كما يعرض المؤلف بالنقد لأحوال الفلاحين، والمفارقة بين ظروفهم الاجتماعية والقانون المطبق عليهم، بينما هو غريب عنهم، وبين حاجتهم الماسة إلى الإصلاح والتعليم، لينقذهم مما هم فيه، من تأخر مادي مع حسن استعدادهم. وينقد أحوال رجال الإدارة والقضاء – في ذلك الوقت – فيكشف ما ينغمسون فيه من المفاسد، والانحلال الأخلاقي، والسلوكي والتهاون في شؤون الوظائف، كانغماسهم في الرشاوى، واستهتارهم بالناس، واستغلالهم للسلطة.
- في عام ٢٠٢٠م كتب محمد المنسي قنديل رواية "طبيب أرياف"، وهي الرواية السادسة في مشواره الروائي[١]، وتعد هذه الرواية نموذجًا للرواية الواقعية، التي

(١) روايات محمد المنسي قنديل بترتيب صدورها هي:
- انكسار الروح، ١٩٨٨م.
- قمر على سمرقند، ٢٠٠٥م.
- يوم غائم في البر الغربي، ٢٠٠٩م.
=

تتناول موضوع الريف، تابعًا لرواية توفيق الحكيم "يوميات نائب في الأرياف". والرواية تصور جانباً من تجربة الكاتب الذاتية، فقد تخرَّج المنسي في كلية طب المنصورة عام ١٩٧٥م وعمل بعد تخرجه في ريف محافظة المنيا لمدة عام ونصف العام، وهي الفترة التي استقى منها معظم خبراته عن القرية المصرية(١).

- كان العنوان عتبة أولى للنص الروائي، وتروي الرواية بضمير المتكلم على لسان البطل الطبيب "علي"، والأحداث كلها تدور حول حياته، حين كان يعيش في وحدة صحية في قرية نائية، وكان الراوي مشاركًا في الأحداث.

والكاتب يركز على فئة الفلاحين وبيئتهم الريفية، في عين شاب مفكر من المدينة حاصل على درجة من التعليم، لكن قدرته المادية ضئيلة لمساعدة الآخرين ولبناء العائلة، أو المستقبل لنفسه.

- وتعرض الرواية حياة المزارعين والفقراء، والصعوبات والمشكلات الناتجة عن الفقر والجهل والظلم من ذوي النفوذ، ونقصان حق النساء في اتخاذ القرار لأنفسهن. وكان البطل الطبيب شاهدًا عيانًا لما يعانون، وكان غريبًا في هذا العالم المختلف، وعاجزًا عن التصدي لقانونه. وتنقد الرواية التخلف والبيئة المعيشية المتردية، والحالات الطبية السيئة، والقضايا النسائية الناتجة عن أغلال الأفكار التقليدية، والتي كان يقبع فيها الريف المصري منذ العصر الفرعوني ، وكذلك الفجوة الهائلة بين الريف والمدينة حتى يكونان عالمين مختلفين.

=

- أنا عشقت، ٢٠١٢م.
- كتيبة سوداء، ٢٠١٥م.

(١) محمد_المنسي_قنديل/https://ar.wikipedia.org/wiki/

– وهذا البحث يسعى إلى الكشف عن بناء الشخصيات في هاتين الروايتين، وإلى كشف عناصر الالتقاء والاختلاف في تشكيل الشخصيات في الروايتين، والمنهج المتبع هو المنهج التحليلي مستعينًا بالمنهج الاجتماعي، والمنهج الوصفي.

وفي هذا الإطار يتناول البحث حياة جماعة الفلاحين المتمثلة في الروايتين عبر فترة زمنية بين عام ١٩٣٧ و ٢٠٢٠، والمشاكل التي يعانون منها متشابهة كانت أو مختلفة، وعزلة البطل الذي ينوب عن عامة شباب ذلك العصر، ذوي الأفكار والحماسة والطموح، في مجتمع يعوقهم عن التعبير، فيشاهدون العالم ويشعرون بالعجز، ويبحثون عن مستقبلهم غير الواضح في الضباب.

أبعاد الشخصيات:

تعد الشخصية بمثابة العمود الفقري للقصة، أو هي المشجب الذي تعلق عليه كل تفاصيل العناصر الأخرى، لذلك قيل "القصة عن الشخصية"، أي: هي ذلك النوع الأدبي الذي يخلق شخصيات مقنعة – فنيًا – بدورها داخل عالم القصة، وهي في كل ما تقوم به من أفعال وأقوال يجب أن تكون ممكنة الحدوث أو التماثل، مع واقع الحياة اليومية، التي يحياها البشر بالفعل(١).

ولقد هدف المؤلف "**محمد المنسي**" إلى رسم الشخصيات كنموذج لإنسان ينتمي لفئة أو لطبقة ما، مثل الفلاحين أو رجال الحكومة، ويحدد صفاتهم الجماعية المشتركة.

ولم يركز "محمد المنسي" على الوصف الخارجي الدقيق لبناء شخصية معينة، إلا حين يصف "فرح" من وجهة نظر البطل في عدة فقرات، التي يتجسد فيها رأي البطل الذاتي وحبه للمرأة.

(١) دراسات في نقد الرواية المعاصرة، طه وادي، دار المعارف، ١٩٩٤، ص٢٥.

وكانت الشخصيات الثلاثة موجودة منذ بداية الرواية وحتى نهايتها، وهم البطل وعشيقته ودسوقي. من زاوية البطل، يقصد المؤلف أن ينقل القراء مباشرة إلى قلب الأحداث وإلى العالم الريفي غير المألوف، ويكتشف أسلوب حياتهم ومشاكلهم، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، يروي وجهة نظر البطل بضمير المتكلم شيئًا يسهل لنا الدخول إلى عالمه الداخلي، والكشف عن عقله، ومشاعره، وحيرته.

أما شخصية دسوقي، فهو يبدو كدليل للبطل في الريف، وكانت وظيفته دفع تطوير الحبكات الروائية، وتقديم الخلفيات الأساسية التي يحتاج البطل معرفتها، وكذلك القراء في آن واحد.

والصراع في هذه الرواية ينبع من ناحيتين: الصراع بين حكم الذكور والنساء اللائي قد فقدن حقهن في اتخاذ القرار؛ والصراع بين الحكومة والشعب المحكوم.

أما في **رواية يوميات نائب في الأرياف** فـ"لم يوجه الراوي عنايته إلى سبر غور شخصيات الرواية، ولم يهتم بإبراز ملامح تكوين وبناء الشخصيات، فإن همه كله مصروف للتعبير عن الأحداث الجارية، وإظهار مدى التخلف والظلم البين، الذي يتعرض له الفلاحون، ومن جراء ذلك يتعرض لظلم هو الآخر"[١].

وكانت الشخصية الثابتة هي الراوي المتكلم ومساعده، والشخصيات الثانوية هي التي تظهر بين حين وآخر مثل المأمور الذي يمثل أصحاب النفوذ والفلاحين، والشيخ عصفور، والشخصية النسائية "ريم".

(١) واقعية الشخصيات في رواية توفيق الحكيم "يوميات نائب في الأرياف"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، Article **13**, Volume **37**, Issue **3** , November **2021**, Page **828** .

ومن نقاطة الالتقاء بين الروايتين في بناء الشخصيات: أن في كل رواية منهما أكثر من عشر شخصيات، وتتكون من أربعة عناصر: الراوي، رجال الحكومة أو أصحاب النفوذ، العنصر النسائي، والفلاحون، وهذا على وجه العموم.

أما على وجه الخصوص، أي في بناء شخصيات محددة، فجاءت بعض نقاط الاختلاف.

أولاً وقبل كل شيء، يتجسد الاختلاف في شخصية البطل في الروايتين. مع أن كلا من البطلين يعانيان من الشعور بالضيق والعجز، والبطل عند توفيق الحكيم يبدو أكثر وضوحًا وصمودًا بفلسفته في الحياة.

البطل عند توفيق الحكيم – وكيل النيابة:

إنه الشخصية الأساسية والمحورية لهذه الرواية، وتدور أحداث الشخصيات الأخرى حوله، ويعمل في وزارة الحقانية، وأُرسل إلى إحدى قرى الأرياف. وإنه نائب مفكر، ذو ملاحظة، دقيق العمل، خصوصًا في الشكاوى الإدارية، وسرعة التصرف فيها. وإنه قد كتب ما حدث له خلال اثنى عشر يومًا في الريف، وكانت كتابته للتنفيس عن ضيقه:

«لماذا أدون حياتي في يوميات؟ ألأنها حياة هنيئة؟ كلا! إن صاحب الحياة الهنيئة لا يدونها، إنما يحياها. إني أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة. إنها رفيقي وزوجي أطالع وجهها في كل يوم، ولا أستطيع أن أحادثها على انفراد. هنا في هذه اليوميات أملك الكلام عنها وعن نفسي، وعن الكائنات جميعًا. أيتها الصفحات التي لن تنشر! ما أنت إلا نافذة مفتوحة أطلق منها حريتي في ساعات الضيق!..»[1].

(١) يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، دار الشروق، ط١٠، ٢٠٢٠م، ص٥.

فالنص السابق يتجه أكثر إلى وصف الحالة النفسية والذهنية لكاتب اليوميات، وإبراز ردود فعله أمام المواقف التي يوجد فيها أو يشاهدها، رغم توظيف الكاتب لعناصر سير ذاتية، ووصفه لأجواء وأحداث واقعية.

وجاء ضيق الكاتب من عدة منابع، على سبيل المثال:

الأول، ركزت قيادته على الشكليات مثل عدد الصفحات في الوثيقة بدلًا من القضية نفسها. أو ركزت على الترقية وكيفية الحصول على المكانة الأكثر ارتفاعًا.

«وضعت رأسي في كفي أفكر فيما ينبغي عمله في هذه القضية، وفيمن سؤالهم حتى نكمل محضرنا عشرين صفحة على الأقل. ذلك أني ما زلت أذكر كلمة رئيس النيابة يومًا لي وقد تناول محضرًا من عشر صفحات:

(مخالفة؟ جنحة؟) فلما أخبرته أنها قضية قتل، صاح دهشًا: (قضية قتل تحقيق في عشر صفحات فقط. قتل! قتل رجل! قتل نفس آدمية في عشر صفحات؟) فلما قلت له: (وإذا ضبطنا الجاني بهذه الصفحات القليلة) لم يعبأ بقولي ومضى يزن المحضر في ميزان كفه الدقيق: (من يصدق أن هذا محضر قتل رجل؟!) فقلت له على الفور: (إن شاء الله نراعي الوزن)!.»[(١)].

«وكل من المأمور والبوليس (ملبوخ) من رأسه إلى قدمه في تزييف الانتخاب، وأنا (ملبوخ) في قراءة شكاوى وجنح ومخالفات وحضور جلسات!»[(٢)].

والثاني، الفلاحون – المصابون – الجاهلون لن يساعدوه على حل القضية:

(١) يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، مصدر سابق، ص١٦-١٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٢.

«إن لم يقبل عليّ الشهود بالصدق، وتعاونني الأهالي بالرغبة والإخلاص فأي (محضر) في الوجود يوصلني إلى التشرف مرة بمعرفة جان من الجناة؟»[١].

والثالث، زميله الذي جاء بـ «أحمال من أوراق (الشكاوى) ووضعها على مكتبي»[٢]. «وإن هبوط هذا (الضيف) عليَّ كما تهبط المصيبة لأمر شاق على النفس»[٣].

والرابع، القطاعات الحكومية تعمل على "دفن" المشاكل وليس حلها:

«إن (نظام) حلاق الصحة نفسه، هذا النظام الذي لا تعرفه أية دولة على الأرض هو موطن الداء" "إن هم إلا سماسرة (دفن)" "حضرة حكيم الصحة أمر بالدفن كالمعتاد»[٤].

«نظرت إلى حلاق الصحة مليًا وأدركت أن أرواح الناس في مصر لا قيمة لها. لأن الذين عليهم أن يفكروا في هذه الأرواح لا يفكرون فيها إلا قليلًا»[٥].

«انتهى ذكرهم عندنا (رسميًا) بذلك الإجراء الأخير البسيط: (تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل ويكتب للمركز باستمرار البحث والتحري)... وهي كلمة الوداع التي تقبر بها القضية نهائيًا»[٦].

---

(١) السابق، ص١٤.

(٢) السابق، ص١٢٦.

(٣) السابق، ص١٢٧.

(٤) السابق، ص٨٢.

(٥) السابق، ص٨٣.

(٦) السابق، ص١٣٣.

أما عن ردود فعل الراوي فهي دائمًا تبدأ بمحاولة البحث عن السر كما قال: «وعزمت على العودة مسرعًا للبدء في تدبير ما ينبغي للوصول إلى معرفة سر هذه القضية الجديدة، فهي من دون ريب مفتاح الأولى»(١).

ثم تنتهي بـ"عدم معرفة الفاعل":

«ووضع أمامي ملفات قرأت على غلاف أحدها: قضية (قمر الدولة علوان). فتذكرت أن الفاعل في هذه القضية لم يعرف.. لم يعرف، طبعا لم يعرف ولن يعرف»(٢).

«(تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل... إلخ إلخ). وسحبت (الجنايات) الأخرى وفعلت بها مثل ذلك وناولتها رئيس القلم الجنائي وأنا أقول له في نبرة خرجت ساخرة مريرة على الرغم مني: – مبسوط! أدحنا خلاص سددنا كشف الجنايات!»(٣).

والبطل عند محمد المنسي الطبيب "علي":

وقد أتت الشخصية الرئيسة متعددة الأبعاد، وشغل الوصف النفسي له مساحة كبيرة من الرواية، إذ يمثل تحول مشاعره تجاه حياته الجديدة في الريف من الرفض والكره إلى القبول والانتماء، ويظهر أفكاره لبعض الأحداث. وبالعكس، يندر الوصف الخارجي له، واسمه لم يظهر لأول مرة حتى النصف الثاني من الرواية.

ومن منظور مشاكل البطل الشخصية، أنه كان يعاني من الافتقاد والعزلة واللاانتماء، منذ بداية الرواية:

(١) السابق، ص٧٩.

(٢) يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، مصدر سابق، ص١٣٢.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٤.

«كان العذاب الحقيقي هو الافتقاد، الإحساس بتفردي في الكون وليس هناك من يقدم لي يد العون، نجم ضائع في مجرة بالغة الاتساع، يمكن أن أسقط في أي ثقب أسود دون أن أترك أثرًا»(١).

«– لسنا موتى، ولا أشباحًا

– لكنك ترفضون التقدم للأمام، تفضلون العيش في الماضي مهما كان مؤلمًا»(٢).

«مدينة لم أعد أنتمي إليها وعلي أن أرحل عنها سريعًا»(٣).

– وكان البطل يرفض ترك ماضيه وألمه، ولا يعرف أين مستقبله وكيف ينتمي إليه. لكنه يضطر إلى أن يبدأ حياته الجديدة في الريف، ويحاول أن يسعى إلى فتاة ما ويتخيل أنه سيملك العائلة الجديدة. إلا أنه يعشق إمرأة متزوجة، فلن يقرب المسافة بينهما، وما زال يعاني من التفرد والعزلة، ومن ذلك الوصف النفسي للبطل: «أقف حائرًا أمامها، قريبة وغاية في البعد»(٤).

وحيرة البطل تعود إلى عاملين: الأول، فقدان الوالدين مما أدى إلى ضعف الالتزام الأخلاقي، إذ يحب فرح المتزوجة ويتخيل أنه يمكنه تكوين العائلة معها؛ والثاني، نظام الدولة البوليسية الذي يؤدي إلى فقدان الثقة بالأقارب، مما يزيد شعوره بالعزلة والتفرد، ويزداد طموحه لاقتناء عائلة خاصة له.

فكان يسعى إلى الخروج من الكبت ليكون فعَّالًا وحرًا وحيويًا، مثلما يشعر بذلك حين يكون مع فرح: «كنا ننزع آثار حياة قديمة بأسرها، سنوات من الكبت

(١) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م، ص٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص٦٦.

(٣) السابق، ص٧٢.

(٤) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص١٠٢.

وعشرات من الكوابح... نرتدي قطعًا كثيرة كل واحدة منها تخلق مقاومة مع أجسادنا ومع تاريخ الإخفاء الطويل»[١].

ومن زاوية ما يشهده البطل في الريف، أو بكلمة أخرى، حياته الاجتماعية في الريف، فكان الشعور بالعجز يحتل قلبه دائمًا. يشاهد البطل بعينيه حياة الفلاحين الشاقة، ونقصان الغذاء، وخطر الأمراض، ويشعر بالشفقة والرأفة، ويود أن يساعدهم أو يخفف آلامهم، لكنه عاجز، بسبب قدراته الضئيلة، والمشاكل عميقة الجذور.

«واصلوا الحياة عبر كل السنوات بهذا القدر الضئيل من الطعام»[٢].

«كيف استطعنا أن نعيش كل هذه السنوات الطويلة ونحن ننزف كل هذا القدر من الدماء؟... أقرر أنه يجب أن نبدأ بالأطفال، ننقذ هذا الجيل الذي لم يأخذ بعد نصيبه من الحياة ولكنه يدفع ميراثها من دمائه»[٣].

وكان البطل يبذل جهوده ليقوم «بقليل من الصواب وسط كل هذا الخطأ»[٤]، فساعد الفلاحين، وعالج جليلة، ووضع البطاقة المكتوبة بالرفض في صندوق الانتخاب، وقرر علاج الأطفال المصابين بالبلهارسيا متمنيًا إنقاذ الجيل الجديد.

يصور المؤلف البطل الذي لا يفقد أمله وروح المقاومة، وما زال يصبر البطل على مساعدة الغجرية الجازية التي نراها في نهاية الرواية تعاني من الضرب والتهديد والسيطرة من الشرطة،فيقف بجانب الصواب والضعفاء قدر استطاعته.

---

(١) المصدر السابق، ص١٦٠.

(٢) السابق، ص١٦.

(٣) السابق، ص٩٦.

(٤) السابق، ص١٩٩.

نقاط الاختلاف

يمكننا أن نتبين من الدراسة التحليلية السابقة أن كلا البطلين يعانين من الضيق، إلا أن البطل عند توفيق حكيم يشعر بضيق لأنه يعرف ما هي الطريقة المستقيمة والحالة الصحيحة السليمة، لكنه ليس لديه القدرة على تغيير الواقع؛ أما البطل عند المنسي قنديل فيشعر بضيق من زاويتين: زاوية ذاته، فلا يعرف أين مستقبله، ومن زاوية حالة معايشة الفلاحين التي شاهدها وعايشها البطل، ولا قدرة له للتغيير أيضًا. فالبطل الثاني يعاني من الصراع النفسي أكثر.

والاختلاف الثاني بين الروايتين كان في تجسيد الشخصية النسائية، فالشخصية النسائية في رواية توفيق الحكيم كانت الضحية أو المنكوب، أما الشخصيات النسائية عند محمد المنسي فكانت ذات أفكار ذاتية ومختلفة كل منها مع البعض.

العنصر النسائي في طبيب أرياف:

يولي المؤلف الشخصيات النسوية اهتمامًا، بما فيها خطيبة البطل "فاتن"، وعشيقته "فرح"، و"زوجة العمدة"، وزوجة التاجر الميت "جليلة"، وأميرة الغجر "الجازية". فيعرض المؤلف قصصهن واختياراتهن وعواقبهن المختلفة.

وقد برزت في الرواية أربع شخصيات نسوية مصرية، وكانت معاناة كل واحدة منهن مختلفة، كما كانت عواقبهن مختلفة. لكن محور تشابههن موحد وهو غيبة حق الاختيار في الزواج والمصير.

الشخصية الأولى منهن "**فاتن**" كانت خطيبة البطل في المدينة، وبعد القبض على البطل عانت من تفتيش الشرطة، الذي أوقع عائلتها في الفوضى وتسبب في مرض أبيها، فاختارت الزواج من واحد من الضابط الذين قاموا بمداهمة منزلها، كما قالت نفسها للبطل: «كان علي أن أفعل شيئًا حتى أمنع عن أبي المرض، وعن نفسي الفضيحة... إنه عريس لا يرفض، وكان هو أيضًا

فرصتي الأخيرة، قبل أن يهاجموا بيتنا مرة أخرى»[١]. فكان الزواج علاجًا للمشكلة بالنسبة إليها، بدلًا من السعي إلى السعادة والحب.

وكانت الثلاث شخصيات من الريف، وأدت اختياراتهن المختلفة إلى العواقب المتباينة أخيرًا.

الأول منهن هي "**جليلة**" زوجة التاجر المنصوري الذي مات، ووقعت هي في حب الأبانوب القبطي، الذي رفضت أسر الأقباط أن تزوج بناتها لخياط مفرد مثله... فلا عائلتها كانت ستوافق عليه ولا بقية البلدة[٢]، وهذه مشكلتها الأولى.

والمشكلة الثانية كانت في أقارب زوجها الذين يريدون أن يستولوا على منزلها ومالها، ويعتقدون أن ميراثها هو حقهم الطبيعي؛ لذلك ينتظرون غلطة.. ينتظرون سقوطها[٣]. وحينما عرفت بحملها كانت فزعة للغاية واختارت الإجهاض، فقد كانت حياتها معلقة بخيط دقيق، وعلى وشك أن تموت. وعندما ذهب الطبيب إلى بيتها لعلاجها، كان اختيارها سلبيًا مستسلمًا، لأن خوفها منهم أكبر من رغبتها في الحياة، مما أدى إلى موتها أخيرًا.

الشخصية الثانية هي **زوجة العمدة** -- "الحاكم المطلق للقرية"[٤]، التي طلبت من الطبيب سمًا وقالت إنها ستجربه أولًا في زوجها. إذ عانت من التخشب الجسدي، وامتلأ صدرها بالبثور والجروح الصغيرة وكذلك بقية جسدها، واعتقدت أنها لن تخرج من بيت العمدة حية.

(١) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص٧١-٧٢.

(٢) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص٧٨-٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٨٥.

(٤) السابق، ص٤٤.

ولكنها نجحت في الهروب من البيت، الذي كان «هناك العديد من الخفر، كانوا يخبرون العمدة بكل تحركاتها»[١]، ولم يلاحظها أحد في القرية. ويقول البطل يشرح هذه "المعجزة" إلى حدٍ ما: «المرأة عندما تريد تكون قادرة على فعل أي شيء»[٢].

لقد كانت بؤرة المشكلة هي إرادة المرأة، ولذا تختلف عاقبة زوجة العمدة اختلافًا تمامًا من عاقبة جليلة.

وكانت الشخصية الثالثة الأكثر أهمية وعقدةً هي "**فرح**"، وكثر الوصف النفسي لها. كانت متزوجة ابن عمها من صغرها وكبرا معًا. لكنها أحست بالرغبة الداخلية في قلبها وهي الطموح للاهتمام، كما قالت:

«منذ أن تزوجت لم يهتم بي أحد، حتى ولا زوجي، كان أمرًا جميلًا أن أرى اهتمامك، خاصة أنك قادم من دنيا مختلفة. أعرف أنه لا مستقبل لأي علاقة بيننا إلا هذه اللحظة»[٣].

وكانت هذه المرأة تتمتع بفكر وجرأة في آن واحد، مما جعلها تختلف عن النساء الأخريات في القرية، ولذا جذبت البطل. لكنها لم توضح رغبتها الحقيقية، فبعد أن تقع العلاقة الخاطئة مع البطل، وطلب منها الأكثر من احتمالها مثل الطلاق ومغادرة، غيرت رغبتها: «مات في داخلي كل الكلام، أنا في حاجة لمن يشق هذا الصمت الذي يحاصرني، كنت أريد شيئًا أكبر، طفلًا جسده مفعم بكل أسباب الحياة»[٤].

---

(١) السابق، ص٢٣٩.

(٢) السابق، ص٢٣٩.

(٣) السابق، ص١٦٠.

(٤) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص١٦٣.

إن ما احتاجت فرح إليه هو الشعور بالحيوية، وكانت تقول: البلد كله مريض.. وكل هؤلاء الناس أموات". لقد فطنت فرح إلى ركود القرية الأبدي، وحاولت أن تكون حية، لكنها لم تختار الطريق المستقيم.

وهكذا يشكل المؤلف الشخصيات النسوية الأربعة، ولم يشكلها كشخصية تحقق الأهداف المالية عن طريقة الزواج أو الجمال، مثلما فعله كثير من الرواة، بل جعلها تضطر إلى اختيار الزواج، ويسبب ذلك طغيان حكم الذكور، وغلبة الأفكار التقليدية التي تخنق النساء عبر الزمان الطويل.

الغجر ... الجازية:

كانت شخصية أميرة الغجر **الجازية** شخصية جاذبة ممتعة، فمن المعروف عن الروائي أنه يتقن الكتابة التاريخية، وقد كثرت القصص التاريخية في مؤلفاته، فهذه الشخصية تحمل التاريخ الأسطوري في هذه الرواية. وأهمية هذه الشخصية جاءت من جانبين:

الأول، ظهر التباين الواضح بين هذه الشخصية وباقي الشخصيات النسوية، فكانت ذات مكانة عالية بين أهاليها، ولها حقوق لاتخاذ القرار مائة بالمائة، حتى تحمي وتقاوم حق الغجر جميعًا، إذ كانت شخصية قوية القلب.

وكانت ذات قدرة حقيقية للبحث عن الطريق في الصحراء، وعندما يحتاج المأمور إلى قدرتها، تساوم معه لاكتساب الحقوق القانونية لأهلها، ولا تستسلم لضرب العسكري حتى يسير خيط الدم من فمها. فقد كانت جريئة وصبورة، ولا تخاف الموت لأجل الأهل.

والثاني، تمثل هذه الشخصية إيقاظ وانتشار الوعي بالحرية وبالمقاومة، فدائمًا ما يكون كلامها مليئًا بالدليل. ففي لقائها الأول بالبطل قالت: «ليست لنا

إلا حرية التجوال وقدرنا هو الموت على الطرقات»[١]، وإن ما فعلوه هو إعطاء أهل القرى بعضًا من البهجة والفرح، لأن هذه القرى كئيبة وكثرة انحناء الناس، فأصبحت رؤوسهم مليئة بالطمي[٢].

وهي تصرح بسبب هروب الناس إلى البلد الآخر: «يهربون من قسوتكم، الحياة قاسية بشكل عام، لكنكم تزيدون من قسوتها... أنتم لا تمسكون إلا بخناق الضعفاء الذين يعيشون على الفتات وتريدون أن تشاركوهم هذا الفتات... أنتم صنعتم الجحيم الذي يهرب منه جميع الناس»[٣]. فتشير إلى قسوة الحكم والظلم والاضطهاد الذي يخيم على الناس حتى يقامر بحياتهم لمحاولة البحث عن طريق الهروب من هذا الجحيم.

– وهكذا تبرز شخصية الجازية ممثلة للنضال والمقاومة، وقد شكلها المؤلف غجرية غير عربية، لأن في المناطق الريفية التي تعاني من الجهل وضعف مستوى التعليم لا يكون الأهل ذوو أفكار عميقة، وبهذا تكون الجازية شخصية مناسبة لانتشار وعي الحرية والنضال في هذه الخلفية، فضلًا عن القصص التاريخية التي ترويها والتي تزيد المتعة، والجاذبية لهذه الشخصية.

وممكن نلخص أصحاب النفوذ في رواية طبيب أرياف على النحو التالي:

«أما أهل النادي فهم بالطبع رجال الإدارة وطبيب المركز وبعض الأعيان والموظفين وصاحب الأجزاخانة، ولا يشغل هؤلاء في ذلك المكان غير لعب الورق و(الطاولة) واغتياب الناس. فهل يليق بممثل النائب العام في هذا المركز أن يندس في هذه الزمرة»[٤].

(١) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص١١٥.

(٢) المصدر السابق، ص١١٥.

(٣) السابق، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٤) يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، مصدر سابق، ص٤٥.

«المسألة مسألة قانون، والقانون صريح: إن كل من وجد شيئًا مملوكًا للغير وحفظه بنية امتلاكه يعامله معاملة السارق. فهمتم؟»(١).

– في هذه الرواية يقسم أصحاب النفوذ إلى نوعين: النفوذ الذكوري إزاء المرأة؛ ونفوذ الحكومة إزاء الناس.

أولًا، النفوذ الذكوري كان غير ملموس، لكن موجود في وجدان الناس عبر الزمان الطويل. وممكن أن نتبينه من كلام أهل القرية بشأن زواج فرح:

دسوقي: «نحن في الصعيد يا دكتور، إنه ابن عمها وواجبه يستر عليها»(٢).

«ألا يحدث طلاق؟ يحدث موت»(٣).

«كل شيء كان مرتبًا حتى قبل أن أولد، لم يكن هناك شاب يجرؤ على التقدم لي، ولم يكن هو يجازف بالنظر إلى فتاة أخرى، لا شيء يمكن أن يغير الاتفاق المربم بين العائلتين»(٤).

وقد ورد الحديث عن "الفضيحة" لمرات عديدة، وكل الشخصيات النسوية القروية تخاف منها، وحقًا للفضيحة قدرة على قتل أي امرأة. كما يخيفهن عيون أهل القرية في أي مكان.

ومن زاوية حكم الرجال على زوجاتهم، فيتمثل في قولهم أيضًا:

«مثل ما قاله عيسى ليثبت ملكيته لفرح: "بالطبع لا أستطيع أن أطلقها، لا أحد يترك لحمه، إنها بنت عمي وهي كل ما أملك، كما أن وضعي ليس جيدًا، من يقبل بي وأنا في هذه الحالة؟»(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص٥٠.

(٢) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص٥٥.

(٣) المصدر السابق، ص٨١.

(٤) السابق، ص٩٨.

(٥) السابق، ص٢٢٣.

وقول العمدة بعد هروب زوجته: «يمكن أن أتهمها بالسرقة، العمدة يظل عمدة، حتى ولو كان كسير القلب، لن أكفَّ عن البحث»[١]. مما يُظهر رغبته الامتلاكية المتعصبة في السيطرة على زوجته.

أما من زاوية **رجال الحكومة الممثلين للسلطة**، فقد كثر في الرواية الوصف الخارجي، لإظهار الضخامة الجسدية، مما يُجسد السلطة القوية، على سبيل المثال، أي وصف العمدة: «رجل ضخم، شاربه كث مفتول الأطراف، عيناه نافذتان، صوت جهوري، لهجته باردة، حادة كسكين»[٢]، وكذلك وصف أحد ضباط الشرطة في السجن: «طويل وعريض، ويملك النبرة المتسلطة نفسها»[٣]، ووصف ضابط في القرية: «رجل عظيم المقام ... جحافل من العسكر يقتحمون المكان، ثيابهم داكنة، وجوههم مدبوغة، لا يحملون بنادق ولكن عصيًا غليظة يهوون بها على رءوس الجميع»[٤].

كما يركز المؤلف على إبراز الفكرة الطبقية في عقل "السيد" و"المسود" على حدٍ سواء. كان «العمدة الوحيد في البلدة الذي يمتلك سيارة، لا أحد يجرؤ على مخالفته»[٥]. و«لم يكن يريد أن يدفع شيئًا، يريد أن نقوم نحن بالدفع، يعتقد يعتقد أننا عبيده وأن علينا أن ندفع له الإتاوة»[٦]. هكذا حفظ العمدة الفكرة الإقطاعية وأراد أن يستغل الفلاحين.

(١) السابق، ص٢٤٠.
(٢) السابق، ص٤٦.
(٣) السابق، ص٦٥-٦٦.
(٤) السابق، ص١٤١.
(٥) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص٤٤.
(٦) المصدر السابق، ص٥٢.

وقد يكون الضباط فخورين بعملهم، أو مكانتهم الرفيعة بين عامة الناس، ولو كانوا من البشر ذوى نفس العرق، ويستخفون بحياة المحكومين تمامًا.

الفلاحون المحكومون:

«ومضى التحقيق في شعاب مظلمة لا أمل معها في الوصول إلى شيء... وما من أهل للمضروب في هذا البلد غير أم عجوز مريضة كسيحة ضعيفة البصر لا تستطيع الكلام، وغير زوجة ماتت من عامين وتركت طفلًا صغيرًا لا يصلح للوقوف أمامنا في موقف السؤال»(١).

لم يشكل المؤلف أي شخصية معينة مثل الفلاح، بل يعرض البيئة المعيشية للفلاحين بوجه عام. مثلما يصور حياتهم اليومية وآلامهم بسبب الأمراض المتنوعة، ويبرز عجزهم فكانوا «لا يستسلمون ولكنهم يعانون في صمت لأنه لا توجد وسيلة غير المعاناة»(٢). وكانت الحكومة تهملهم للغاية، حتى يكون «الموت في بلدتنا سهل، نحن نموت لأسباب تافهة»(٣).

ومع أن حياتهم كانت قاسية جدًا، من جراء الاضطهاد الخارجي، كان يوجد الاضطهاد داخل القرية أيضًا، الذي يشبه المراقبة العلنية والقيود الوراثية، مثل الفجوة بين المسلمين والأقباط، وقد حفظ أهل القرية هذه الفجوة و«دافعوا عن شرف جليلة أكثر مما هي دافعت»(٤). وعاتبها أقارب زوجها كأنها أوقعتهم في الفضيحة جميعًا، فقتلوها ودعوا الطبيب إلى البيت لأنهم: «لا نريد أن تعيدها

(١) يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، مصدر سابق، ص١٤.
(٢) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص١٨.
(٣) المصدر السابق، ص٣٦.
(٤) السابق، ص٩٣.

للحياة، نريد فقط شهادة بوفاتها»[١]، ثم أخذوا الأشياء كلها من بيتها، حتى يكون المنزل مقبرة شاسعة تمامًا. فهذا القيد يصبح سلاحهم لتحقيق هدفهم المهتضم.

ويصف المؤلف خوف الفلاحين الأصلي من الحاكم: «لم أفهم سر هذه الرهبة، ولكنها هي العادة؛ تلك الرهبة الطبيعية التي يحس بها المصريون تجاه أي نوع من الحكام؛ نوع من الخنوع يكمن داخل الجينات، "كروموسوم"[٢] متوارث من الضروري استئصاله»[٣].

وقد فضَّل الفلاحون البقاء في عالمهم البدائي، وأداروا الأمر تحت قانونهم الأصلي، ورفضوا تدخل الحكومة في شؤونهم بقدر المستطاع، وفي آن واحد، رفضوا ممارسة حقوقهم القانونية مثل حق التصويت، رغم أن الانتخاب كان لعبة مسرحية. وينبع هذا التنازل عن الحقوق أولًا من جهلهم حول شأن قانوني، وثانيًا من خوفهم من الحكومة، الذي يسببه فعل الحكومة الواقعي المستغل.

نقاط الالتقاء والاختلاف:

من الواضح أن كلا الروايتين تتناول موضوع الحالة المعيشة للفلاحين في الأرياف، وتعرض أوضاعهم في جهلهم، وكذلك لم يتلقوا العناية والمساعدة من الحكومة، بل كانوا يعانون من الإهمال أو الظلم أحيانًا.

إلا أن رواية توفيق الحكيم تختص بموضوع الحقوق وقلة الوعي الحقوقي عند الفلاحين، أما رواية محمد المنسي فتتناول الأوضاع الاجتماعية: الصحية والتعليمية والمعيشية والنسائية، وتحقق عرض الحالات المذكورة عن طريق تصوير الشخصيات الثانوية المتنوعة المختلفة.

(١) السابق، ص١٨٤.

(٢) طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، مصدر سابق، ص١٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص٤٦.

– وقد برع محمد المنسي قنديل في وصف مشاهد الريف خلال وصفه للفلاحين، وعلاقتهم بالأرض:

ومن ذلك وصفه لأهل القرية وهم يتوجهون إلى الحقول كل يوم وصفًا دقيقًا ومؤثرًا، ويتضمن الوصف الشباب والنساء والأطفال والحيوانات حتى العجائز: «بعضهم يتوكأ على العصي ويجاهدون في السير، كأنهم موتى تم بعثهم للتو، يسعون عند مولد الضوء كما فعلوا من آلاف السنين، طقس أسطوري يتم بجلال يليق بلحظة الخلق الأولى»(١).

وكذلك مشهد ذهاب المزارعين للعمل في الحقول كان مؤثرًا في قلب البطل، الذي يصور حياتهم الصعبة والبدائية دون التغيير، ويعبر عن إصرارهم وصبرهم، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يعكس صلوبة طبقة الفلاحين، ومكانتهم المتدنية، وحالتهم التي لا تتحسن عبر الزمان الطويل.

(١) السابق، ص١٥-١٦.

النتائج

- كلا روايتان تصدران عن تجربة المؤلف الحية والمباشرة، خلال فترة عمله في الريف المصري، وتضمنت العناصر الواقعية فيها.
- الروايتان تنقد التخلف، والجهل، والإغلاق، والملامح الاجتماعية المتخلفة في حياة الريف المصري في فترة محددة.
- في رواية "طبيب أرياف" يبني المؤلف النموذج العام لرجال السلطة وأهل القرى كالحاكم والمحكوم، ويتمثل فيها الحكم المطلق في يد الحكومة، وخوف الفلاحين وخضوعهم وجهلهم.
- كما يهتم المؤلف بالقضية النسوية، حيث يبني أربع شخصيات نسوية عادية، ويعطي كل واحدة منهن القصص المختلفة، مما يؤدي إلى العقائب المختلفة لإظهار قيد التقاليد المفروض عليهن وإرادتهن وقدرتهن.
- يشكل المؤلف شخصية البطل من شاب متعاطف، للضعفاء بقدر المستطاع، باحث عن مستقبله في الضباب في تلك الفترة المحددة.
- كما يهتم المؤلف بالقضية النسوية، إذ يبني أربع شخصيات نسائية ويعرض قصصهن واختياراتهن وعواقبهن المختلفة. ويشكل شخصية من الغجر بملامح أسطورية جاذبة، وتحمل مسئولية نشر الوعي بالحرية والنضال، ومقاومة الظلم والقسوة. فيبذر المؤلف الأمل للقراء بهذه الطريقة.
- في رواية نائب في الأرياف لم يوجه عنايته إلى سبر غور شخصيات الرواية، كما لم يهتم بإبراز ملامح تكوين وبناء الشخصيات، بل كان اهتمامه موجهاً للأحداث في الرواية.
- من أبرز نقاط الالتقاء بين الروايتين في بناء الشخصيات أن كل رواية تضم أكثر من عشر شخصيات، وتتكون من أربعة عناصر: الراوي، رجال الحكومة أو أصحاب النفوذ، العنصر النسائي، والفلاحون.

- ومن نقاط الاختلاف في بناء الشخصيات، شخصية البطل في الروايتين، مع أن كلا البطلين كان يعاني من الشعور بالضيق والعجز، لكن البطل عند توفيق الحكيم ورد أكثر وضوحًا وصمودًا بفلسفته في الحياة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

١- يوميات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، دار الشروق، ط١٠، ٢٠٢٠م.
٢- طبيب أرياف، محمد المنسي قنديل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م.
٣- بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤م، القاهرة.
٤- في النقد والأدب، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٥، ١٩٨٦م.
٥- مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٦- واقعية الشخصيات في رواية توفيق الحكيم "يوميات نائب في الأرياف"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، Article **13**, Volume **37**, Issue **3** November, **2021** Page **813**-**859** .